مصطلح العامي الفصيح .. عوامل النشأة ومراحل التطور

الباحث /محمد حسني علي فرحات

لدرجة الماجستير بقسم اللغة العربية كلية الاداب – جامعة المنوفية

ملخص البحث:

ذاع ورود مصطلح " العامي الفصيح " في مؤلفات القرن العشرين، وأُفردت الدراسات والبحوث لبحث أبعادٍ مختلفة تتعلق بهذا المصطلح –من مِثل استثماره في المسرح والفنون الأدبية والتعليم؛ للارتقاء بلغة الحياة اليومية وتقليص الازدواجية اللغوية، إلى جانب تصنيف معجمات ضمت ألفاظًا تندرج تحت مصطلح " العامي الفصيح " أو " فصيح العامية ".

حيث نادى فريق من المحدثين باستخدام لغة العوام التي أصلها فصيح في الأدب والتعليم والإعلام؛ بوازع الحريص على سلامة العربية وتحقيقًا لغرض اللغة وهو الإفهام والتواصل؛ وأنتج هذا الفريق الموفِّق مجموعة من الروايات الأدبية والدراسات والبحوث العلمية والمقالات الصحفية والمعجمات ذات العلاقة بالعامي الفصيح، لكنَّ أحدًا لم يسرد تاريخ هذا المصطلح.

ولمَّا كان من المفيد للباحث –أي باحث– الاطلاعُ على تأريخ المصطلحات الدائر عليها بحثه، ولمَّا لم أقف على تأريخ لمصطلح "العامي الفصيح" عند من يتناولونه بالدراسة والتصنيف؛ فقد حاولت في هذا البحث إلقاء الضوء على التطور الدلالي لمفردات هذا المصطلح، ووضعته على فترات تاريخية بحسب سمات كل فترة منها.

الكلمات المفتاحية:

العامي الفصيح – فصيح العامية – الفصاح

مصطلح العامي الفصيح .. عوامل النشأة ومراحل التطور

مـــــقـــــدمـــــة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، أما بعد:

فقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي تتحدث به العرب في منتدياتها وتجارتها وسائر شؤونها وإن اختلفت اللهجة وتباعدت الجغرافيا. ثم مع انتشار الإسلام وما لازم ذلك من مجتمعات يختلط فيها العرب بالأعاجم ظهرت الأغلاط والانحرافات اللغوية، وما لبث أن تشقق كلامهم إلى لغة العامة في معاملاتهم ومنتدياتهم وأخرى للخاصة في دواوينهم ومجالس علمهم. ومضت تتسع الفجوة بين لغة استعمال العامة والخاصة حتى إذا أتت الحملات الاستعمارية واحتلت الشرقَ غيَّرت وبدَّلت نظم التعليم والثقافة وحاولت ترويج العامية خيارًا للتقدم، ووافق ذلك انتشار الصحف والكتب المطبوعة، فكانت حربًا سجالًا بين فريق ينتصر لعربية فصيحة لفظًا ونسقًا وفريق ينتصر لغرض اللغة (الإفهام والتواصل) ولو بألفاظ العامة دون لغة الأدب والإنشاء، بل ولو كان ذلك الإفهام والتواصل بلغة أجنبية عرَّبها المُنشِئُون. ثم حاول فريق ثالث التوفيق بينهما حريصًا على سلامة العربية ومحققًا غرض الإفهام والتواصل؛ فنادى باستخدام لغة العوام التي أصلها فصيح في الأدب والتعليم والإعلام، وأنتج هذا الفريق الموفِّق مجموعة من الروايات والدراسات والمعجمات ذات العلاقة بالعامي الفصيح، لكنَّ أحدًا لم يسرد تاريخ هذا المصطلح.

مشكلة الدراسة:

يحاول البحث تحديد مبدأ ظهوره واستخدامه في الحياة العلمية العربية، وتتبع مراحل تطوره، والوقوف على بعض العوامل المتسببة في ذلك.

أهمية البحث:

يساعد البحث في بيان أصالة المصطلح، ورسم خريطة لمسار المصطلح في الثقافة العربية؛ في تسلسل زمني يستنبط منه فضل أعلام كل مرحلة في الدفع نحو سبك مصطلح "العامي الفصيح".

أسباب اختيار البحث

كثرة الدراسات حول قضية صراع الفصحى والعامية من وجهةٍ، وقضية التقريب بينهما وتفصيح العامية من وجهةٍ أخرى؛ مع عدم عناية بتأريخ مصطلح أصيل في تلك الدراسات، ألا وهو مصطلح "العامي الفصيح" والذي يرد أيضًا بصيغة "فصيح العامية".

تساؤلات الدراسة:

متى ظهر مصطلح العامي الفصيح؟

ما عوامل ظهوره ونشأته؟

ما المراحل التي مر بها حتى انسكاكه؟

منهج البحث

يقوم البحث على المنهج الوصفي بجانبيه الوصف والتحليل، مع تسجيل وتفسير نتائج البحث ترتيباً زمانيّاً وفق إجراءات المنهج التاريخي.

الدراسات السابقة

لم أقف على دراسات أرخت للعامي الفصيح، غير إشارات وردت بمقال الدكتور ناصر الدين الأسد تحت عنوان "جهود بعض المحدثين في العامي الفصيح"، المنشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ح٦٦، ص٢٠٢. والمعاد نشره بالمجلة ذاتها، ج٩١، ص٤٧، وضمن كتاب "اللهجات العربية (الفصحى والعامية)"، ج٢، ص٢٠٦، من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط١،١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

حيث ذكر أن موضوع رد العامي إلى الأصل الفصيح قد أكثَرَ القدماءُ والمحدثون في تناوله، وأن أول من أفرد له كتابًا هو ابن الحنبلي في كتابه "بحر العوَّام فيما أصاب فيه العوَام"، وأن من القدماء من أشاروا إليه إشارات عابرة أو عقدوا له فصولًا في كتب لحن العامة وتثقيف اللسانين وما يشبهها.

وأن من المحدثين أربعة خصَّهم بالذكر لمنجزهم الكبير في رد العامي إلى الفصيح، وهم:

١. الشيخ أحمد رضا العاملي، وكتابه هو "رد العامي إلى الفصيح"، وهو مجموع ما نشره لمجلة المجمع العلمي العربي بين سنتي ١٩٢٦ و١٩٤٨م.

٢. الدكتور أحمد عيسى، وكتابه "المحكم في أصول الكلمات العامية".

٣. الأستاذ شفيق جبري، وقد نشر تسع عشرة مقالة تحت عنوان "بقايا الفصاح"، بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، على امتداد سبع وثلاثين سنة، أوّلها سنة ١٩٤٢م وآخرها سنة ١٩٧٩م.

٤. الدكتور عبد الملك مرتاض، وكتابه "العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى".

ومقالة الدكتور ناصر الدين الأسد ثرية في إبراز دور المحدثين في تفصيح العامية ورد العامي إلى الفصيح، غير أنها لم تتناول تأريخ المصطلح مشكلة البحث.

هيكل البحث

جاء البحث في مقدمة، ومبحث واحد تفرعت عنه ثمانية مطالب، وخاتمة.

تضمنت المقدمة: مشكلة البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وتساؤلاته ومنهجه، إضافة إلى الدراسات السابقة.

وأما المبحث فقد حمل عنوان البحث "مصطلح العامي الفصيح .. عوامل النشأة ومراحل التطور"، وتفرع عنه المطالب الثمانية التالية:

١-المطلب الأول: الطور الأول – النقاء اللغوي

٢-المطلب الثاني: الطور الثاني – عصر توقُّع اللحن

٣-المطلب الثالث: الطور الثالث – عصر الرواية والجمع وابتداء التصنيف

٤-المطلب الرابع: الطور الرابع – عصر تقنين العربية وتفريع العلوم

٥-المطلب الخامس: الطور الخامس – فشو اللحن في العوام وكثير من الخواص

٦-المطلب السادس: الطور السادس – تصحيح اللحن

٧-المطلب السابع: الطور السابع – رد العامي إلى الفصيح

٨-المطلب الثامن: الطور الثامن، وهو الأخير – اللغة العامية

أعقبته خاتمة عرضت أهم نتائج البحث، ثم هوامش البحث، وأخيرًا المراجع.

مبحث: مصطلح العامي الفصيح .. عوامل النشأة ومراحل التطور

ولاستظهار تاريخ أي لفظ عربي ينبغي أن نستصحب حقيقة أن العربية قد مرت حياتَها عبر بلدان متقاربة ومتباعدة وعاشت بين ثقافات وأجناس متنوعة ومتعددة؛ فكانت زمانَها أطوارًا، مع حفاظها على أصولها وثبات حقيقتها[١]. وقد جُست خلال تلك الأطوار منقبًا عن "العامّ" ومشتقاته (العامي – العامية – العامة – العوام) لإثبات أول ظهوره وتتبعِ معانيه بسيطًا حتى وصوله مركبًا موصوفًا بالفصيح. وقد رأيت أن يقترن سرد تلك الأطوار برصد وقوع اللحن[٢] في كل طور للارتباط الوثيق بينهما، كما سيتجلى تاليًا:

المطلب الأول: الطور الأول – النقاء اللغوي

كان معنى (العامّ من الأمور): الشامل الذي لا يَختصُّ بواحدٍ منها[٣]، وهو المراد من قول أبي طالب يوصي وجوه قريش وقد حضرتْه الوفاةُ: "وعليكم بصِدقِ الحديثِ وأداءِ الأمانةِ، فإن فيهما محبة في الخاص، ومكرُمة في العامِّ"[٤].

أما وصف اللغة بالعامية أو الناس بالعوام –وكذا العامي– فلم يكن ألبتة في هذا الطور من أطوار العربية؛ لا واقعًا في معجم أهلها وقتئذٍ[٥]، ولا تنظيرًا لدارسيها بعد ذاك. بل كانت لغة واحدة تَسَعُ اختلافات يسيرة وقعت في استخدامها بين القبائل.

وكان العربي فصيحًا طبعًا ذا ملكة لغوية تسعفه في إجادة فنون الحديث بَلْه تجنب الخطأ والغلط، حيث يعد اللحن في اللغة غيًّا[٦] يستوجب التعذير ضربًا بالسياط[٧]؛ وإن جاز لنا وصف هذا الطور بـــ"النقاء اللغوي" فهو به حقيق؛ وكأن اللحن في المنطق عندهم أقبح من آثار الجدري في الوجه[٨].

المطلب الثاني: الطور الثاني – عصر توقُّع اللحن

وذلك بعدما اتسعت حدود الدولة الإسلامية وبُنيت الحواضر، وتشعبت الدواوين، وتُرجمت الكتب، واختلط أهل الجزيرة العربية بغير العرب اختلاطًا بل امتزجوا بهم امتزاجًا؛ فكان هذا أوان ضعف السليقة اللغوية، واستحالت العربية كسبًا بعد أن كانت طبعًا، غير أنه لم يظهر معنى جديد للعامِّ ومشتقاته.

ورغم وقوع اللحن في عصر بني أمية بشكل ملحوظ فإنهم كانوا حريصين على رعاية العربية ويرون اللحن هجنة على الشريف[٩]؛ لذا لم تفسد بعدُ لغة العربي في حواضر الجزيرة العربية، فضلًا عن باديتها البعيدة عن أسباب ذاك اللحن.

المطلب الثالث: الطور الثالث – عصر الرواية والجمع وابتداء التصنيف

حيث ظهر معنًى جديد للفظ "العامة" في بداية العصر العباسي الأول رغم أن بواعثه كانت في عصر بني أمية، ويمثل هذا الطَّورَ الخليلُ (١٠٠-١٧٠هـ) في "العين"، وسيبويه (ت١٨٠هـ) في "الكتاب".

لم يخلُ معجم العين من إيراد "العامة" في تضاعيفه عشرات المرات[١٠]، إلا أن صاحب العين كان "يستعمل بدلًا من كلمة "العامة"[١١] تركيبَ "أكثر الناس"؛ فهما عنده مترادفان"[١٢]. فالمقصود أكثر القبائل ممن تؤخذ عنهم لغة العرب، إذ مدار المعجم على رواية لغة العرب الأقحاح –متحريًّا نقاءها– لا على لغة المجتمع على تمدُّد حدوده وثراء مفرداته. يؤكد أن المقصود بـ"العامة" عند الخليل مَن تؤخذ عنهم الرواية ما ذكره في (عبد) بباب العين والدال والباء معهما: "والعامة تقول ((وعَبَد الطاغوت))[١٣]؛ أي عبدَ الطاغوتَ من دون الله"[١٤]، فلا يُتَصوَّر أن يدخل في "العامة" هنا خلافُ مَن تؤخذ عنهم رواية القرآن الكريم؛ "لِأنَّ القراءةَ لا تُبْتدَعُ على وجْهٍ يَجُوزُ، وإنَّما سَبِيلُ القراءةِ اتِّباع"[١٥].

وللعامة عند سيبويه المعنى نفسه عند أستاذه الخليل؛ إذ "العامة عنده تعني مجموع الناس أو عامة العرب، وفي كتابه عقَدَ بابًا سمَّاه: هذا باب الرفعُ فيه وجهُ الكلام، وهو قول العامة [الكتاب ٢٣/٢ بتحقيق هارون]، قال مُحققه: أي عامة العرب لا عوام الناس"[١٦].

أما عن اللحن فقد فشا فشوًّا منع الرواة من النقل عن عرب الحواضر فيما وراء النصف الأول من القرن الثاني الهجري؛ أما أهل البادية فسوف يرتحل إليهم رواة اللغة ليؤخذوا عن بعضهم العربية مدة بعد ذلك.

المطلب الرابع: الطور الرابع – عصر تقنين العربية وتفريع العلوم

وهنا تطوَّر معنى "العامة" وظَهَر لفظ "العوام" و"العامي" منصوص على المعنى المراد عند بعضهم ومسكوت عنه عند أكثرهم. وستسعفنا هنا مصنفات لحن العوام وأدب الكُتاب؛ مستفتَحةً بكتاب "ما تلحن فيه العامة" للكسائي (ت ١٨٩هـ)، فكتاب "البيان والتبيين" للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ويتوقف هذا الطور عند كتاب "لحن العوام" للزبيدي (ت ٣٧٩هـ) أواخر القرن الرابع الهجري.

فقد استفتح الكسائي[١٧] بكتابه "ما تلحن فيه العامة[١٨]" نوعًا جديدًا في التصنيف، وهو ما يعرف الآن باسم "كتب لحن العوام".

"ونستفيد من كتاب الكسائي تطورات صوتية وأخرى في الصيغ، فحسب. ولا يحتوي على أمثلة لظواهر التطور في الدلالة أو في النحو"[١٩] [١]، فتلك مظاهر اللحن في عصره عند العامة. ورغم أنه لم يُعرِّف بهم، فإن ذكْرهم في عنوان الكتاب دليل على أن ثمة معنى جديدًا لحق بهذا اللفظ؛ وهو المعنى الذي سيستبين لدى معاصره الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في "البيان والتبيين" إذ يقول: "وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم[٢٠] ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا. على أن الخاصة تتفاضل[٢١] في طبقات أيضًا"[٢٢].

ومن سمات العوام أنهم يسقطون الإعراب... ولا يتفقَّدون من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال[٢٣]، "والعامّة ربَّما استخفت أقلَّ اللغتين وأضعفَهما، وتستعمل ما هو أقلُّه في أصل اللغة استعمالًا وتدَعُ ما هو أظهر وأكثر"[٢٤].

وتتابعت المصنفات ترصد وتقوِّم لحن "العامة" وتنص على ذلك في أكثر عنواناتها حتى منتصف القرن الرابع الهجري[٢٥]، ويُلاحَظ استخدام بعض العلماء –أواخر تلك الفترة– لفظَ "الفصيح" عند عنونة مصنفاتهم في مقابل "لحن العامة"[٢٦].

إذن كان المقصود في هذا الطور بـــ"العامي" من الكلام خلاف "الفصيح"؛ بتحريف لفظِه أو بوضعه في غير موضعه، والمقصود بـــ"العامة والعوام ومفردهما العامي" مَن هم خلاف ذوي العناية الخاصة باللغة أكثر من غيرهم (وذوو العناية الخاصة هم العلماء

والأدباء والشعراء والأمراء وكتاب رسائلهم ومن شاكلهم)، وهم في طبقة بين وجهاء القوم علمًا وصدارةً وسوقة القوم وهملهم.

ويفهم من منهج المُصنِّفِين لحصر اللحن وذكر المقابل الفصيح أن اللحن لمَّا يكن فاحشًا لا كمًّا ولا كيفًا.

المطلب الخامس: الطور الخامس – فشو اللحن في العوام وكثير من الخواص

فرغم أن الزبيدي عنون كتابه بـــ"لحن العوام" فإنه ذكر في مقدمته أن اللحن أصاب كثيرًا من الخواص؛ حيث يقول: "ثم نظرت في المستعمل من الكلام في زماننا وبأفقنا فألفيت جملًا لم يذكرها أبو حاتم[٢٧] ولا غيره من اللغويين فيما نبهوا عليه وذكَّروا به مما أفسدته العامة عندنا، فأحالوا لفظه أو وضعوه في غير موضعه، وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة، حتى ضمنه الشعراء أشعارهم، واستعمله جلة الكتاب، وعليه الخدمة رسائلهم، وتلاقوا في محافلهم"[٢٨].

وفي هذه الفترة تتابعت جهود ثلة من اللغويين في حفظ الفصيح على ألسنة الخاصة[٢٩] جنبًا إلى جنب مع من سبقهم وعاصرهم في محاولة كبح جماح اللحن على ألسنة العوام، فألَّف كلٌّ من: الخطابي (ت ٣٨٨هـــ) "إصلاح غلط المحدثين"، وأبي أحمد العسكري (ت ٣٨٢هـــ) "ما يلحن فيه الخواص من العلماء"، وأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـــ) "ما تلحن فيه الخاصة"، والحريري (٥١٦هـــ) "درة الغواص في أوهام الخواص"، وابن بري (ت ٥٨٢هـــ) "غلط الضعفاء من الفقهاء"، وابن منظور (ت ٧١١هـــ) "تهذيب الخواص من درة الغواص"، وابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـــ) "التنبيه على غلط الجاهل والنبيه".

و"الخاصة الذين ذكرهم في كتب اللحن هم علماء اللغة والشعراء والكتاب والخطباء الفقهاء والقراءة والمحدثون، ومن في مستواهم... ويمكن أن يدخل في مفهوم العوام الذين لا يلمون بقواعد اللغة، وهم متفاوتون أيضًا، كما يدخل فيه الطلاب الذين يلحنون أمام شيخهم عند القراءة فيصحح لهم الشيوخ هذه الأخطاء بقولهم "لا تقل كذا"[٣٠]. ويبدو أن مفهوم "العامة والعوام" اتسع ليشمل طبقات دنيا؛ يفهم ذلك من قول ابن الجوزي في مقدمته

لـ"تقويم اللسان": "فإني رأيت كثيرًا من المنسبين للعلم يتكلمون بكلام العوام المرذول جريًا منهم على العادة وبعدًا عن علم العربية"(٣١).

وتدل عبارة ابن الجوزي –كما يرى د. مطر– "على أن الجميع كانوا يتكلمون في لهجات خطابهم العادية لهجة واحدة، لا فرق بين خاصتهم وعامتهم"(٣٢)، كما أنها تشير إلى أن المنسبين للعلم في منزلة ينبغي أن ترتفع على العوام، ويفهم من ذلك أن الخواص هم من كانوا يتقنون علم العربية.

المطلب السادس: الطور السادس – تصحيح اللحن

حيث "خطأ رضيُّ الدين بن الحنبلي صاحبَ (درة الغواص) في بعض ما جاء به، وذلك في مؤلف مفقود سماه: (الدر الملتقط في تبيين الغلط)، ثم أراد أن يفصل القول في ذلك، ويضم إليه تدعيم ما وافق فيه الحريري في كتابه الدرة؛ فصنف لذلك كتاب (عقد الخلاص في نقد كلام الخواص)"(٣٣) عام٩٥٨هـ(٣٤). ثم أتبعه بمؤلَّف آخَر هو (بحر العوَّام فيما أصاب فيه العوام)؛ "ليرد على أوهام من ألف في لحن العامة من قبله، حين اعتبروا بعض الكلمات لحنًا وهي صواب أو لغة من اللغات... وهو لا يصحح كلام العامة تحكمًا، بل يعتمد في هذا على أقوال العلماء"(٣٥)، وهذه المؤلفات لا تمنع وجود بذور هذا الطور مبثوثة في كتب السابقين؛ ولكنها كانت أبوابًا(٣٦) وليست منهج تصنيف.

المطلب السابع: الطور السابع – رد العامي إلى الفصيح

وقد اختطَّ هذا المنهج الجديد الشيخ يوسف المغربي (ت ١٠١٩هـ) في "دفع الإصر عن كلام أهل مصر"، والذي اختصره ابن أبي السرور (ت ١٠٨٧هـ) في "القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب"؛ في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين.

ولاحِظْ أن المؤلِّفَينِ –بالإضافة إلى أنهما افتتحا رد ألفاظ لغة العوام إلى أصلها الفصيح(٣٨)– قد افتتحا أيضًا التصنيف بحسب البلد.

وكَونهما استغنيا بـ"أهل مصر" عن "عوام مصر" يدل على انحسار الفصحى –إلا ما كان للمدارسة أو التصنيف– وطغيان تحريف العوام على لغة المجتمع بأسره، وذوبان الطبقية اللغوية التي أشار إليها الجاحظ قبل ثمانية قرون.

وواضح أن مفهومَيْ "رد العامي إلى الفصيح" و"العامي الفصيح" كانا حاضرين في هذا الطور عمليًّا، ولكنهما لم يصطلح عليهما إلَّا في الطور التالي.

المطلب الثامن: الطور الثامن، وهو الأخير – اللغة العامية

"وهذه هي اللغة التي خلفت الفصحى في المنطق الفطري، وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة، ثم صارت بالتصرف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلة بتكوينها وصفاتها المقومة لها، وعادت لغة في اللحن بعد أن كانت لحنًا في اللغة"(٣٨).

وقد اتسع نطاق شيوعها –كما يصفها أسعد خليل داغر المتوفى بالقاهرة ١٣٥٤هـ– ١٩٣٥م– "وذاع دورانها في ألسنة جميع الناطقين بالضاد، حتى تناول معظم أحاديث الناس في البيوت... وغيرها من الأماكن التي يجتمعون فيها لأغراض مختلفة. وأوشك استخدامُ كلماتها أن يشمل كل ما عندنا من رياش وأثاث ومتاع وإناء، وكل ما على أجسادنا ... وكل ما يباع... وكل ما يعرض في علوم... وصناعات... من اصطلاحات وتعابير وعُدَد وآلات وأدوات، وما يَجِدُّ كل يوم من المكتشفات والمخترعات"(٣٩).

وقد كان دخول المطبعة أرضَ العرب مع بداية العصر الحديث مرافِقةً حركة الاستشراق "من العوامل التي زادت اللغة نشاطًا وحركت العقول"(٤٠)، وتحديدًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين نُصبَت راية الدعوة إلى العامية(٤١)، ليظهر هذا المصطلح "العامية" ويصبح قضية الوقت، ويرافقه مصطلحا "العامي الفصيح" و"رد العامي إلى الفصيح"(٤٢) للمرة الأولى في الأدبيات العربية، في ظل سجال بين مناصرين لتلك الدعوة ومعارضين أثارَ –وما زال– حركةً أدبية وفكرية. وكان من صدى ذلك إثراء المكتبة العربية باتجاهات متعددة في التأليف، لا سيما في ميدان المعجم؛ فكانت معجماتٌ تُسجِّل العامية الدائرة على ألسنة الشعب، ومعجماتٌ ترد تلك الألفاظ العامية إلى أصولها الفصيحة؛ وتلك الأخيرة هي محل دراستنا.

إذًا: العامي الفصيح –ويسمى أيضًا "الفصاح"(٤٣)– مصطلح سكه اللغويون المعاصرون استجابة لحاجة علمية بالتصنيف في هذا الباب؛ دفاعًا عن الفصحى، تزامنًا مع المعركة مع الدعوة إلى العامية.

الخاتمة

توصل البحث إلى أن مصطلح "العامي الفصيح" هو مصطلح تطور دلاليًّا عن مفردة "العامي" ومشتقاتها، والتي مرت بثمانية أطوار مقترنة بأطوار اللحن اللغوي، وهي:

١- الطور الأول: النقاء اللغوي؛ حيث لم يكن لحن في لغة العرب، وكان "العام" بمعنى "الشامل" وليس هناك ذكر لمشتقاته الأخرى، ويمتد هذا الطور ليشمل عصر صدر الإسلام.

٢- الطور الثاني: عصر توقُّع اللحن؛ وهو أوان ضعف السليقة اللغوية، واستحالتها كسبًا بعد أن كانت طبعًا؛ وذلك بسبب اختلاط أهل الجزيرة العربية بغير العرب، ولم يظهر معنى جديد للعامِّ ومشتقاته، وهو يساير عصر بني أمية.

٣- الطور الثالث: عصر الرواية والجمع وابتداء التصنيف؛ وأدت كلمة "العامة" معنى "جموع الناس أو عامة العرب"، أما اللحن فقد فشا فشوًّا منع الرواة من النقل عن عرب الحواضر، وهو عصر الخليل وسيبويه والكسائي.

٤- الطور الرابع: عصر تقنين العربية وتفريع العلوم؛ وفيه تطوَّر معنى "العامة" وظَهَر لفظ "العوام" و"العامي"، فـ"العامي" من الكلام خلاف "الفصيح"؛ بتحريف لفظِه أو بوضعه في غير موضعه، والمقصود بـ"العامة والعوام ومفردهما العامي" مَن هم خلاف ذوي العناية الخاصة بالعربية. أمَّا اللحن فلمَّا يكن فاحشًا لا كمًّا ولا كيفًا، ويمتد هذا الطور ليشمل القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن الرابع.

٥- الطور الخامس: فشو اللحن في العوام وكثير من الخواص؛ وفيه اتسع مفهوم "العامة والعوام" ليشمل طبقات دنيا، ويمتد هذا الطور من النصف الثاني من القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن العاشر الهجري.

٦- الطور السادس: تصحيح اللحن؛ أي الرد على أوهام من ألف في لحن العامة وتصحيح ما قيل أنه خطأ، غير أنه لم يتغير شيء من أمر اللحن ودلالة "العام" ومشتقاته، حتى نهاية القرن العاشر الهجري.

٧- الطور السابع: رد العامي إلى الفصيح؛ وذلك في القرن الحادي عشر الهجري.

٨- الطور الثامن، وهو الأخير: اللغة العامية؛ وقد اتسع نطاق شيوعها حتى غلبت الفصحى وخلفتها في الحديث اليومي، وأثارت الدعوة للعامية نهاية القرن التاسع عشر حربًا فكرية كان من أنفالها مصطلح "العامي الفصيح".

وقد حظي مصطلح "العامي الفصيح" بكثير من البحث والتصنيف في القرن العشرين، ورادفه مصطلحا "فصيح العامية" والفصاح".

الهوامش

(١) للتوسع في تطور العربية ينظر كتاب تاريخ آداب العرب للرافعي، والمزهر للسيوطي.

(٢) "لا شك في أن الذي نقصده هنا بكلمة اللحن هو مخالفة الفصحى في الأصوات، والصيغ، أو في تركيب الجملة وحركات الإعراب، أو في دلالة الألفاظ. وهذا ما كان يعنيه كل من ألف في لحن العامة من القدامى والمحدثين، وبظهر ذلك بوضوح من الأمثلة التي عالجوها في كتبهم". من كتاب: لحن العامة والتطور اللغوي، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٠، ص١٣.

(٣) وهو المعنى الدائر في حوالي العام الثالث قبل الهجرة (٦١٩م) بحسب ما يفهم من قول أبي طالب. انظر: الموقع الإلكتروني لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية، اطلاع: ٢٣-٠٣-٢٠٢١م:
https://dohadictionary.org/dictionary/%D8%B9%D8%A7%D9%85

(٤) بلوغ الأرب في معرفة كلام العرب، للسيد محمود شكري الألوسي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية، د.ت. ج١، ص٣٢٨.

(٥) ينظر: تاريخ آداب العرب، للأديب مصطفى صادق الرافعي. مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط ١، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧، ج٢، ص٢٠١.

(٦) روى الحاكم عن "أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا قَرَأَ فَلَحَنَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ». انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية – بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، ج٢ ص٤٧٧.

(٧) "قنِّع كاتبك سوطًا" هو جواب عمر بن الخطاب على رسالة عاملِه أبي موسى لحن كاتبها. انظر: المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، دار الساقي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج١٧ ص١٤-١٥.

(٨) ينظر في ذلك كُتب الأخطاء الشائعة ولحن العامة وكتب التعريف بمنزلة العربية.

(٩) انظر: المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ج١٧ ص١٥.

(١٠) أحصى الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم (٢٩ موضعًا) لكلام "العامة" بمعجم العين. ينظر: لغة العامة في تاج العروس، للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم، (القاهرة: مكتبة الآداب)، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص٩-١١.

(١١) أورد الخليل في معجمه باب العين والميم (٩٤/١-٩٥) "عَمَّ الشيءُ بالناس يَعُمُّ عَمًّا فهو عامٌّ إذا بلغ المواضع كُلَّها... والعَامَّةُ خِلافُ الخاصَّةِ... والعامَّةُ: الشَّخْصُ إذا بدا لك". ولم يزد =

= في تعريف "الخاصة" في باب الخاء والصاد (١٣٤/٤) عن أن "الخاصَّة: الذي اختصصتَه لنفسك". وهو معنى قاصر عن استخدام الخليل نفسه "العامة" في معجمه. راجع: العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(١٢) لغة العامة في تاج العروس، د. رجب عبد الجواد إبراهيم، ص٩.

(١٣) "قرأ حمزة ((وعبد الطاغوت)) بضم الباء وخفض التاء يريد خدم الطاغوت في قول الأعمش، ويحيى بن رئاب. الباقون بفتح الباء والدال ونصب التاء". التبيان في تفسير القرآن، للطوسي، دار إحياء التراث الإسلامي – بيروت، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، (تفسير الآية ٦٠ من سورة المائدة)، ج٣ ص٥٧٢.

(١٤) معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج٢ ص٤٩.

(١٥) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ج٢ ص ١٨٨.

(١٦) لغة العامة في تاج العروس، د. رجب عبد الجواد إبراهيم، ص١١.

(١٧) هو أبو الحسن علي بن حمزة، أحد القراء السبعة، ورأس المدرسة الكوفية، توفي ١٨٩هـ.

(١٨) كذا عنوان الكتاب ورد عند د. رمضان عبد التواب في بعض المواضع، وهو "ما تلحن فيه العوام" عند الأديب المحقق عبد العزيز الميمني.

(١٩) لحن العامة والتطور اللغوي، للدكتور رمضان عبد التواب، ص١٢٠.

(٢٠) وتلك الأمم هي المذكورة في الفقرة السابقة على الاقتباس، ونصها: "وإذا سمعتموني أذكر العوام، فإني لست أعني الفلاحين، والحشوة، والصناع، والباعة، ولست أعني الأكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار" ولست أعني من الأمم مثل البربر والطيلسان، ومثل موقان وجيلان، ومثل الزنج وأشباه الزنج. وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع: العرب، وفارس، والهند، والروم. والباقون همج وأشباه الهمج".

(٢١) رتب الجاحظ الناس طبقات: أمم، وهمج وأشباه الهمج. وعد من الأمم أربعة، أولاهن العرب، ثم العرب بعد ذلك طبقات: خاصة، وعوام، ودون ذلك من الفلاحين والسوقة؛ ومناط التفاضل (عقولها وأخلاقها)؛ أي أن هذا التفريق الطبقي: علمي اجتماعي؛ فـ"كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات". انظر: البيان والتبيين، ج١ ص١٤٤.

(٢٢) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ج١ ص١٣٧.

(٢٣) المرجع السابق، ج١ ص٢٠.

(٢٤) المرجع السابق نفسه.

(٢٥) انظر: لحن العامة والتطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص١٠٥-١٠٦.

(٢٦) مثل فصيح ثعلب.

(٢٧) هو أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، والمقصود كتابه الموسوم بـ"ما تلحن فيه العامة".

(٢٨) لحن العامة، للزبيدي، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص٦٠-٦٢.

(٢٩) يستثنى من ذلك كتاب "النحو ومن كان يلحن من النحويين" لابن شبة (ت ٢٦٢هـ)، وإنما لم أدخله في الطور الرابع لأنه لم يكن بتلك الفترة ثمة اتجاه ولا ما يشير لكون لحن الخاصة أصبح ظاهرة.

(٣٠) "لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة"، للدكتور عبد العزيز مطر، ص٣٥-٤٠. نقلًا عن د. يحيى خليل الطائي في بحثه "نقد لغة العامة في صحاح الجوهري" بمجلة الآداب (العدد ١١٦، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص٢٣٧).

(٣١) تقويم اللسان، لابن الجوزي، تحقيق ودراسة د. عبد العزيز مطر، (دار المعارف – القاهرة)، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٦م، ص٤١.

(٣٢) نقد لغة العامة في صحاح الجوهري، د. يحيى خليل الطائي، ص٢٣٦.

(٣٣) لحن العامة والتطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص٣٣٤.

(٣٤) انظر المرجع السابق، ص٣٣٥.

(٣٥) المرجع السابق، ص٣٣٦. ولاحِظْ أن د. رمضان عبد التواب قال "وقد اعتمد رضي الدين بن الحنبلي على كتاب ابن بري (الرد على الحريري في درة الغواص) وكتاب ابن منظور (تهذيب الخواص من درة الغواص).

(٣٦) مثال "باب ما تنكره الخاصة على العامة وليس بمنكر" من كتاب "تثقيف السان لابن مكي الصقلي.

(٣٧) وقد يكون من الإنصاف إرجاع الأولية لابن الإمام المتوفى أواخر القرن التاسع الهجري في كتابه "الجمانة في إزالة الرطانة".

(٣٨) تاريخ آداب العرب، تأليف مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان – المنصورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م، ج٢ ص ٢٠١.

(٣٩) تذكرة الكاتب، تأليف أسعد الداغر، مطبعة المقتطف والمقطم بمصر، سنة ١٩٢٣م، ص٢٣.

(٤٠) المعجم العربي في لبنان من مطلع القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٠م، دكتورة حكمت كشلي، دار ابن خلدون – بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٢م، ص ٣٩. وللتوسع ينظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لشيخ العربية محمود شاكر، وتاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر للدكتورة نفوسة زكريا، والفصل الثاني من "أبحاث في العربية الفصحى" للدكتور غانم قدوري الحمد.

(٤١) أُطلق عليها أيضًا مصطلح "التمصير" لأن مصر كانت ميدان تلك المعركة السياسية، وكان إمكانية التقعيد للعامية المصرية منطلقًا لإحلال العاميات في التعليم والتدوين محل الفصحى.

(٤٢) أول من استخدمه في عنوان أحد المصنفات هو الشيخ أحمد رضا العاملي –عضو المجمع العلمي العربي بدمشق- في معجمه: "رد العامي إلى الفصيح"، عام ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

(٤٣) وهو المصطلح التي استخدمه الأستاذ شفيق جبري –عضو مجمع اللغة العربية بدمشق- في مقالاته بمجلة المجمع بين عامي ١٩٤٢ و١٩٧٩م تحت عنوان "بقايا الفصاح". واستخدمه هشام النحاس في بحوثه بمجلة "التراث العربي" وفي مجلة "المعلم العربي" (السورية) أول مرة عام ١٩٨٤ (مج ٣٧، ع ١) وعنوانًا لمعجمه: "معجم فصاح العامية" عام ١٩٩٧م.

المراجع

١. أبحاث في العربية الفصحى، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢. بحوث وتحقيقات، للعلامة عبد العزيز الميمني، أعدها للنشر محمد عزيز شمس، طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ج٢ س١٨.
٣. بلوغ الأرب في معرفة كلام العرب، للسيد محمود شكري الآلوسي البغدادي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية، د.ت.
٤. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٥. تاريخ آداب العرب، تأليف مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان – المنصورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
٦. تاريخ آداب العرب، للأديب مصطفى صادق الرافعي. مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط ١، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧.
٧. تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر للدكتورة نفوسة زكريا، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، طبعة أولى، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤.
٨. التبيان في تفسير القرآن، للطوسي، دار إحياء التراث الإسلامي – بيروت، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، (تفسير الآية ٦٠ من سورة المائدة).
٩. تثقيف اللسان، لابن مكي الصقلي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٠. تذكرة الكاتب، تأليف أسعد الداغر، مطبعة المقتطف والمقطم بمصر، سنة ١٩٢٣م.
١١. تقويم اللسان، لابن الجوزي، تحقيق ودراسة د. عبد العزيز مطر، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٦م.
١٢. الجمانة في إزالة الرطانة، ابن إمام التونسي، مهد له وحققه وعلق عليه العلامة حسن حسني عبد الوهاب، دار المقتبس، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
١٣. اللهجات العربية (الفصحى والعامية)"، من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.
١٤. رد العامي إلى الفصيح، للشيخ أحمد رضا العاملي، دار العرفان – صيدا، عام ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
١٥. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، لشيخ العربية محمود شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
١٦. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٧. لحن العامة، للزبيدي، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٨. لغة العامة في تاج العروس، للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٩. لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة"، للدكتور عبد العزيز مطر، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٠. لحن العامة والتطور اللغوي، للدكتور رمضان عبد التواب، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق)، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٠.
٢١. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
٢٢. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٢٣. المعجم العربي في لبنان من مطلع القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٠م، دكتورة حكمت كشلي، دار ابن خلدون – بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٢م، ص ٣٩.
٢٤. معجم فصاح العامية، تأليف هشام النحاس، مكتلة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٢٥. المفصل في تاريخ العرب، للدكتور جواد علي، دار الساقي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

ثانيًا: الدوريات

١. مجلة التراث العربي، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، (مج ٧، ع ٢٧،٢٨ عام ١٩٨٧م) و(مج ٨، ع ٢٩ عام ١٩٨٧م) و(مج ١٢، ع ٤٧ عام ١٩٩٢م)
٢. مجلة الآداب، الناشر: جامعة بغداد، العدد ١١٦، (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).
٣. مجلة الأزهر، الناشر: مشيخة الأزهر، شوال ١٤٣٨هـ - يوليه ٢٠١٧م.
٤. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الناشر: مجمع اللغة العربية (السوري)، (مج ١٧، ج ٣،٤ عام ١٩٤٢م) و(مج٥٤، ج٤ عام ١٩٧٩م).
٥. مجلة المعلم العربي" الناشر: وزارة التربية (السورية)، (مج ٣٧، ع ١) ١٩٨٤م.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية

١. معجم الدوحة التاريخي للغة العربيةhttps://dohadictionary.org/dictionary/%D8%B9%D8%A7%D9%85